سوء الخاتمة

سؤال: هل سواد وجه الميت دليلاً على سوء الخاتمة؟

وهل صحيح أن من يدفن الأموات يعرف الذي سيدخل الجنة والذي سيدخل النار؟

==========

هذه أمورٌ ليست من دين الله في شيء، فإن السواد والبياض وخاصة في عصرنا في مصرنا ليس دليلاً على حُســن الخاتمــة أو ســوء الخاتمة، فإن مصر – وأنتم تعلمون ذلك – من أوائل دول العالم التي ينتشر فيها مرض الكبد، ومرض الكبد كل علاماتــه أنــه يُغيّــر وجــه الإنسان ويجعله حتى وهو في حياته – في الحالات الخطيرة منه – يسود وجهه فإذا مات ميتٌ بداء الكبد، فهذا عند الله شهيد لقولــه صــلى الله عليه وسلم: { الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ } (صحيح البخاري وابن حبان عن أبي هريرة)، لكنه لأنه مات بهذا الداء يكون وجهه بعد موته أسوداً، فــأنظر إلى شهيد لكن وجهه أسود!!

إذاً ليس هذا دليلاً على خاتمته، فأما خاتمته فالذي يدل عليها أعماله التي كان يعملها، قال صلى الله عليه وسلم: { إِنَّمَا الأَعْمَــالُ بِخَوَاتِيمِهَا } (صحيح البخاري عن سهل بن سعد الســاعدي)، فإذا مات على عملٍ صالح فتكون بُشرى له بأنه من الصالحين، وإذا مــات علــى عملٍ غير صالح فنضرع إلى الله ونطلب منه أن يعفو عنه وأن يتغمدّه برحمته.

ولو كان بياض الوجه دليلاً على الصلاح كان أهل أوروبا وأهل أمريكا عند موتهم من الصالحين، لأنهم أنضر وجوهاً منــا وأبــيض شكلاً منا. لكن الذي يدلّ على الصلاح والتُقى العمل الصالح الذي يموت المرء عليه، كمن مات في الصلاة، أو عقب الصــلاة، أو عقــب حج بيت الله، أو عقب صيام شهر رمضان، أو مات وهو يمسك بكتاب الله وهو يتلوه، أو مات وهو يذكر الله، أو مــات وهــو يتحــدّث بالخير، أو مات وهو يُصلح بين إثنين متخاصمين، أو مات وهو يَبرُّ أباه أو أمه، فمن يموت في هذه الأعمال فهذا دليلٌ على حُسن الخاتمــة إن شاء الله رب العالمين، ومن يمت على أعمالٍ أخرى، فلا نقول سوء الخاتمة، ولكن نقول: في عفو الله، إن شاء عفا عنه وغفــر لــه، وإن شــاء آخذه.

****